درس بعنوان: شرح رسالة كشف الشبهات (الدرس الثاني)

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قال المؤلف غفر الله له ولشيخنا والحاضرين: (أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فهذا هو الدرس الثاني من شرح كشف الشبهات، يقول المؤلف فيه عن النبي ﷺ أرسله الله إلى ناس يصلون ويحجون قبل الإسلام كانوا على أصناف شتى، فقبيل بعثته عليه الصلاة والسلام منهم من كان على بقايا ملة إبراهيم عليه السلام وهم معدودون منهم زيد بن فيد ومنهم ورقة وغيرهم مما ذكر في السيرة، ومنهم من كان على اليهودية ومنهم من كان على النصرانية ومنهم من كان على المجوسية وتحولوا إلى هذه الديانات بتأثير الهجرات التي قام بها أتباع هذه الديانات إلى الجزيرة العربية وتحولوا إلى هذه الديانات بالتأثر من المجاورة من مجاورة أصحاب هذه الديانات خاصة في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، ومعرفة ما كان عليه العرب قبل الإسلام مهم لأنه سيأتي ما يبين أهمية ذلك ومعرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام له مظانه وهي تهم من أراد أن يكون على اطلاع بشبه المشركين وأحوال العرب قبل البعثة وما كانوا عليه من الشرك، وهي أيضًا تهم اللي يرغب في الاطلاع والبحث، فما مظان معرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام؟ كتب التاريخ تاريخ الطبري وتاريخ بن كثير تاريخ ابن الأثير يتكلمون عن ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام خاصة في دخول الأصنام على العرب في الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية، هذا الأمر له علاقة بالبعثة ولهذا غالب كتب التاريخ يذكرون ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام خاصة في فصل عنوانه في الغالب دخول الأصنام في الجزيرة العربية على يد عمرو بن لحي الخزاعي وهذا سبق بيانه في الدرس الماضي، أيضًا من مظان معرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام تتبع الآيات والأحاديث التي فيها ذكر عبادة المشركين ممن سيأتي معنا ومطالعة كتب التفسير والحديث التي تبين معناها، من مظان معرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام الكتب التي كتبت في هذا ومن أشهرها كتاب الأصنام لهشام بن محمد بن

السائب الكلبي وهذا وإن كان متروك الحديث لكنه إخباري ففي كتابه هذا عرض لعبادات المشركين قبل البعثة النبوية، أيضًا من مظان معرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام كتب التاريخ التي كتبت في تاريخ العرب قبل الإسلام ومن أوسعها كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام هذا كتاب في مجلدات كثيرة ألفه جواد علي، أيضًا في كتاب لمحمود شكري الألوسي اسمه بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، وهذه الكتب تعرض للحالة الدينية عند العرب، أيضًا المستشرقون فإن هناك كتابات للمستشرقين في ذكر تاريخ العرب قبل الإسلام وهي كثيرة منها كتاب تاريخ العرب العام لمستشرق اسمه سيديو وغيره لكن عند النظر في كتب المستشرقين يتنبه لبعض المطاعن التي قد تكون في النبي عليه الصلاة والسلام أو في سيرته، أيضًا في كليات الآداب في الجامعات العربية في قسم التاريخ تجد هناك مقررات ومحاضرات عن تاريخ العرب قبل الإسلام وأديان العرب قبل الإسلام.

المؤلف هنا يقول أن هؤلاء الذين بعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام يحجون وقد جاء في هذا في الصحيحين أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أن ينادى في السنة التاسعة ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانوا يصلون كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً يعني صفيرًا وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:٣٥] يعني تصفيقًا على أشهر الأقوال في تفسير الآية وكانوا يتصدقون كما قال عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة:١٩] وكانوا يعتكفون كما جاء في البخاري أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة، من الأمور التي لها علاقة بهذا الأمر ما كان عليه النبي ﷺ قبل البعثة النبي عليه الصلاة والسلام كان على الفطرة وهي التوحيد فلم يتلبس بشرك عليه الصلاة والسلام هذا هو القول الصحيح، وكان يأنف ويذم ما كان عليه قومه من الشرك وكان عليه الصلاة والسلام على بقايا دين إبراهيم عليه السلام ولهذا في البخاري (وكان يتحنث الليالي ذوات العدد) قيل أن يتحنث أصلها يتحنف من الحنيفية يعني ملة إبراهيم لكن العرب قلبت الفاء ثاء فصارت يتحنث وفي رواية ابن هشام في السيرة النبوية كان يتحنف من الحنيفية فالنبي عليه الصلاة والسلام كان على التوحيد وعلى الفطرة ويعبد الله تعالى على ما بقي من ملة إبراهيم عليه السلام.

(أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله) نعم وهذا جاء في آية الزمر ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] زلفى يعني قربًا في قراءة ابن مسعود ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قالوا مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ وفي قراءة أخرى مَا نَعْبُدُكُمْ وفي آية يونس ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] فهم اتخذوا هؤلاء وسائط يشفعون لهم بزعمهم عند الله تعالى، وهذا الشرك كما سيأتي يعود في العالم إلى أصلين الأول الشرك في الكواكب وهذا شرك قوم إبراهيم عليه السلام والثاني شرك في الغلو في الصالحين وهذا شرك قوم نوح، هذا ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه.

(يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى بن مريم) نعم فإن هؤلاء عبدوا الملائكة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠] وقال الله عز وجل عن عيسى عليه السلام ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] .

(مثل الملائكة وعيسى ابن مريم وأناسًا غيرهم من الصالحين فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دينهم أبيهم إبراهيم عليه السلام) يجدد لهم دينهم أبيهم إبراهيم، إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء فإن الأنبياء بعده منه عليه الصلاة والسلام ولهذا قيل له أبو الأنبياء، فإنه جاء بإسماعيل جد العرب ومنه نبينا ﷺ وجاء بإسحاق ومنه يعقوب الذي يقال له إسرائيل ومنه أنبياء بني إسرائيل، إبراهيم عليه السلام بعث في أهل بابل في العراق وقدم الشام وقدم الحجاز فتأثر ناس بدينه والله عز وجل ذكره في مواضع من القرآن ووصفه بالحنيف ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:١٣٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل:١٢٠] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء:١٢٥] والحنيف ذكرت في القرآن في عشر مواضع وأمر الله عز وجل نبيه ﷺ باتباع ملة إبراهيم ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:١٣٥] وفي الآية الأخرى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣] فهل كان النبي ﷺ على دين إبراهيم؟ كان على دينه فيما اتفقت عليه الشرائع في الأصول من توحيد الله تعالى، لكن لم يكن من أهل ملته لأنها حكيت أقوال أن النبي ﷺ كان قبل البعثة على دين إبراهيم يعني على ملة إبراهيم تابعًا له وقيل على دين موسى وقيل على دين عيسى لكن الصحيح أن النبي ﷺ كان يتعبد الله تعالى بما جاء في شريعة إبراهيم من الأصل العظيم وهو التوحيد، والنبي ﷺ بعث ليجدد ملة إبراهيم كما جاء عند الإمام أحمد (إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية وإنما بعثت بالحنيفية السمحة) وجاء عند البخاري تعليقًا

لكن فصله الإمام أحمد (أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة) وإبراهيم عليه السلام دعا إلى التوحيد وقد ذكر الله عز وجل في خمسة مواضع من القرآن دعوته إلى التوحيد ومجادلته للمشركين فذكر ذلك في سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة:٢٥٨] وذكر هذا في سورة الأنعام في قوله سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام:٧٤] وذكر هذا في سورة مريم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١] وذكره في سورة الأنبياء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ .... ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٢] الآيات.. وفي سورة الشعراء ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء:٦٩] فهذه خمسة مواضع في القرآن ذكر الله عز وجل فيها محاجة إبراهيم عليه السلام وقد آتاه الله الحجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام:٨٣] فملة إبراهيم هي الدعوة إلى التوحيد وتحقيقه.

(فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام) وفي قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ﴾ [الشورى:٥٢] مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ يعني على وجه التفصيل أما على وجه العموم فالنبي ﷺ كان على الفطرة والتوحيد ومثله قوله عز وجل ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى:٧] ضالًا يعني غافلًا عن أمر النبوة فهدى يعني فأرشدك وليس المراد بالضلال هنا الانحراف أو زيغ وإنما المراد الغفلة عن أمر النبوة فأرشده الله عز وجل.

(فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دينهم أبيهم إبراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلًا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي إلا هو ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو) ومن هنا تظهر أهمية معرفة ما كان عليه العرب في الجاهلية قبل الإسلام، فإن العرب الذين بعث فيهم النبي وأمر بدعوتهم وقتالهم كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت لكنهم كانوا يعبدون غيره كما قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] وآيات كثيرة في القرآن مما سيورده المؤلف كلها تقرر أن المشركين كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهل لهذه المعرفة أهمية نعم أهمية في الرد على المخالفين لأهل السنة في باب التوحيد فإن المخالفين لأهل السنة في

باب التوحيد جعلوا الغاية هو توحيد الربوبية، ولهذا يحملون الآيات التي جاءت في القرآن في الألوهية يحملونها على الربوبية وبنوا على ذلك أن الشرك عندهم ما كان في الربوبية باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر مع الله تعالى أو دونه على وجه الاستقلال فهم لا يرون أن هناك شركًا في الألوهية، ولهذا التوحيد مثلًا عند المتكلمين هو أن الله واحد في ذاته لا قسيم له واحد في صفاته لا مثيل له واحد في أفعاله لا شريك له والأخير هو توحيد الربوبية، ولهذا الشيخ هنا رحمه الله قرر أن توحيد الربوبية كان المشركون يقرون به ويعترفون به وإن ما الذي جرت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم وإن ما الذي بعث به الرسل هو توحيد الألوهية، ولهذا لا يعرف أن طائفة نازعت في هذا فقالت بأن هناك خالق غير الله ولا أن هناك رازق غير الله ولا أن هناك مدبر غير الله تعالى.

(وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي إلا هو ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله يشهدون لله هذه الشهادة فاقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]) إذن هم يقرون بأن الله هو المالك والخالق والرازق والمدبر، والآيات التي في القرآن في إثبات أن الله هو الخالق أو الرازق أو المدبر أو المحيي أو المميت تأتي في سياق إلزام المشركين بالألوهية ولهذا العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية أن الربوبية يستلزم الألوهية يعني إذا أقررتم أيها المشركون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر فيلزمكم من ذلك أن تعبدوه وحده لا شريك له هذا معنى أن الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وهذا كثير في القرآن لمن تأمل.

(وقوله ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩] وغير ذلك من الآيات فإذا تحققت أنهم مقرون بهذه ولم يدخلوا في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ) التوحيد الذي دعاهم إليه الرسول ﷺ هو توحيد الألوهية وفي الدرس الماضي بينت لك أنه لابد لطالب العلم وللداعية إلى التوحيد أن يعلم أن التوحيد على ثلاثة أنواع توحيد

الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وأن هذا التقسيم تقسيم استقرائي دل عليه استقراء نصوص القرآن وأن نصوص القرآن صريحة في هذا، ولهذا الذين يريدون أن يهدموا دعوة التوحيد يعارضون هذا الأصل ويقولون أن التوحيد واحد هو توحيد الربوبية لماذا يقولون ذلك؟ حتى لا يقال إن ما يقعون فيه من الشرك في الألوهية أنه شرك ومخالفة، فمن المهم لطالب العلم أن يعلم أن هذه القسمة قسمة استقرائية دل عليها نصوص القرآن وذكرت هذا وأيضًا هو قول السلف رحمهم الله من الصحابة والتابعين بل لم يستطع حتى المتكلمون أن يدفعوا تفسير آيات القرآن التي فيها إثبات الألوهية ولهذا تجدهم في مواطن يفسرون الآيات على ما هو عند أهل السنة والجماعة من أن الإله هو المعبود لأنه لا يمكن لهم أن يفسروه بغير هذا.

(فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله) فهذا فيه الفرق بيت توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية من جهة الكفاية توحيد الربوبية لا يكفي في الدخول إلى الإسلام والألوهية هو الذي يدخل العبد في الإسلام، من جهة الإقرار المشركون يقرون بتوحيد الربوبية لكنهم لا يقرون بتوحيد الألوهية، من جهة الاستلزام والتضمن توحيد الربوبية يستلزم الألوهية وتوحيد الألوهية متضمن للربوبية، من جهة التعلق توحيد الربوبية يتعلق بأفعال الله الخلق والرزق والإحياء والإماتة توحيد الألوهية يتعلق بأفعال العباد، من جهة الاشتقاق واللغة الربوبية مأخوذة من الرب وهو المالك والسيد والمنعم والمتفضل والألوهية من الإله وهو المعبود فصارت هذه ستة فروق بين الربوبية والألوهية.

(فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) توحيد العبادة وتوحيد الإلهية وتوحيد الألوهية أو التوحيد القلبي أو الإرادي أو القصدي أو توحيد التعلق هذه من أسمائه.

(كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى) هذا إشارة إلى ما ذكرته لك قبل قليل أن الشرك في العالم يعود إلى صنفين شرك الاعتقاد في الكواكب وشرك التعلق بالصالحين، فالأول كان في قوم إبراهيم فإن إبراهيم عليه السلام بعث في أهل بابل وكانوا يعتقدون في الملائكة ويرون أن الملائكة هي الأرواح وأن النجوم أو الكواكب هي الهياكل والأجساد فصار أصل التعلق بالملائكة ثم جعلوا النجوم أو الكواكب هياكل وأجساد لها، ثم بعد ذلك صوروا أصنامًا لهذه

الكواكب كما قال الله عز وجل عنهم لما أنكر عليهم إبراهيم ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١] فصار عبادة الكواكب عند قوم إبراهيم أصلها من التعلق بالملائكة فجعلوا الملائكة أرواحًا وجعلوا النجوم والكواكب هياكل وأجساد لها ثم صوروا أصنامًا في الأرض لهذه الكواكب، وقيل أن من عبادتهم التعلق بالصالحين فصار عبادة قوم إبراهيم التعلق بالملائكة وجعل الكواكب هياكل وأجساد لها ثم صناعة الأصنام على صورتها في الأرض وقيل أيضًا من عبادتهم أنهم جعلوا الأصنام هي هياكل للصالحين الذين يعبدونهم ويتعلقون بهم وأشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم، الأصل الثاني الذي يعود إليه الشرك في العالم عبادة الصالحين ويدل على هذا ما ذكرته لك في الدرس الماضي عند قوله عز وجل ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣] وقلت لك أن ابن عباس رضي الله عنه قال إن هذه هي أسماء لقوم صالحين في قوم نوح عبدها العرب بعدهم وهذا الأثر عن ابن عباس صحيح رواه البخاري بإسناده وجاء في قوله عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم:١٩] قراءة أخرى اللَّاتَّ وَالْعُزَّى بتشديد التاء روى البخاري عن ابن عباس أن اللات بالتشديد هو رجل كان يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره، لماذا إثبات هذا؟ لأنه سيأتي معنا من الشبه الكبار عند المشركين أنهم لا يرون التعلق بالصالحين من الشرك ويقولون أن هذا شيء ابتدعتموه من عند أنفسكم وأنه لا دليل في القرآن ولا في السنة على أن من الشرك الغلو في الصالحين أو عبادة الصالحين أو اللجوء إلى الصالحين، وهذا يروج له كثير من دعاة الشرك والخرافة ويطعنون في أثر ابن عباس في البخاري ويقولون أن هذا الشرك في الأولياء والصالحين إنما هو شيء ابتدعه ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولهذا من المهم أن ٨تعرف ما أشار إليه المؤلف هنا من قوله ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، وسيأتي معنا أن بعض المروجين للشرك يقول كيف تساوون بين عبادة الأصنام وبين طلب الشفاعة من سيد الأنام ولهذا هم يجعلون الشرك عبادة الأصنام على ما كان ظاهرًا من حال المشركين في الجاهلية قبل الإسلام لكن الصحيح أن الشرك منه ما يعود إلى عبادة الصالحين، ولهذا هم بنوا على ما زعموه من أن الشرك محصور في عبادة الأصنام بنوا عليه على أن التعلق بالأولياء والصالحين والالتجاء إليهم وطلب الشفاعة منهم أنه ليس بشرك فلعل هذه المسألة اتضحت لك، ولهذا المشركون لا يعبدون الأصنام في ذاتها يعبدون هذا الخشب أو الحجر وإنما يعبدون ما يعتقدون من حلول الروحانيات فيها أو من حلول أرواح الصالحين فيها ولهذا هذه الأصنام تفتنهم إذا

تكلمت الشياطين منها فإن الشياطين من تلاعبها وتلبيسها على بني آدم أنها تتكلم من هذه الأصنام فيزداد تعلقهم بالأرواح التي يزعمون أنها حلت في هذه الأصنام.

(ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده) قاتلهم ولهذا جاء في البخاري ومسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا وفي رواية حتى يشهدوا ألا إله إلا الله) ولا إله إلا الله هذا توحيد الألوهية.

(كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] وكما قال تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد:١٤] وتحققت أن رسول الله ﷺ إنما قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستغاثة كلها لله وجميع أنواع العبادة كلها لله وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه) هنا المؤلف ذكر الشهادة لا إله إلا الله ومعناها عند أهل السنة لا معبود بحق إلا الله، وعند غير أهل السنة يقولون أن لا إله إلا الله يعني لا قادر على الاختراع إلا الله أو لا خالق إلا الله أو يقولون هو المستغني عمن سواه المفتقر إليه من عداه هذه تفسيرات لـ لا إله إلا الله عند المخالفين لأهل السنة، وهذا كل التفسير بالربوبية لأن القدرة على الخلق من أفراد الربوبية والقدرة على الاختراع من أفراد الربوبية الغنى عن الخلق من أفراد الربوبية، وبعض المتكلمين فسروها بالعبودية وهذا من اضطرابهم، الإله أصله من أله يأله إلهة يعني عبد يعبد عبادة والإله فِعال بمعنى مفعول وهو المعبود فالإله يعني المعبود ولفظ الجلالة الله أصلها أو مشتقة على الصحيح من الإله لكن حذفت الهمز وجعلت الألف فصارت الله.

(وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو شجرة أو قبرًا أو جنيًا لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى

بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه) وهذا ما دل عليه آيات كثيرة قال عز وجل ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وكما قال عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ... ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧] وكما جاء في الحديث (بني الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه) فهذه الآيات والأحاديث وما في معناها تدل على معنى لا إله إلا الله في نفيها للعبادة عما سوى الله وإثباتها العبادة لله وحده.

(والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير) الشرك إما أن يعود إلى الجهل كما ذكر الشيخ رحمه الله فإن بعض الناس يجهلون معنى لا إله إلا الله ويجهلون التوحيد وعلى هذا طائفة من الخلق ومن الناس من يفعلون ذلك معاندة ومعارضة وامتناعًا عن الانقياد للحق والله عز وجل لما ذكر الإنسان قال ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] فالجهل عدم العلم وهذا شأن الضالين الذين أمرنا الله عز وجل أن نسأله أن يجنبنا طريقتهم في سورة الفاتحة وهم الذين عبدوا الله على جهل، والوصف الثاني للإنسان الظلم وهو المعاندة والمعارضة على سبيل الإباء والاستكبار وهذا شأن أول انحراف وقع في الخلق فإن إبليس لم يكن يجهل الحق وإنما رده إباءً واستكبارًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] فالمقصود أن من الخلق من رد دعوة التوحيد جهلًا كما أشار الشيخ رحمه الله ومنهم من رد دعوة الحق أو التوحيد معاندة واستكبارًا.

(فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله)

نقف عند هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد..